الحسينُ
ثائرًا وشهيدًا

تأليف
د. بريك سعد بريك

الحسين ثائرًا وشهيدًا

دراسة تاريخية في سيرة الإمام الحسين رضي الله عنه وثورته واستشهاده

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما يُعد من أعظم الشخصيات في التاريخ الإسلامي، فقد جمع بين شرف النسب، وعلو المكانة، وكمال الخلق، وكان سبط رسول الله ﷺ، وابن ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأحد سيدي شباب أهل الجنة كما ثبت في الحديث الصحيح.

وقد احتلت سيرته مكانة عظيمة في قلوب المسلمين على اختلاف مذاهبهم، لما امتازت به من الشجاعة والثبات، والتضحية في سبيل ما رآه حقًا. وتمثل واقعة كربلاء إحدى أبرز الأحداث في التاريخ الإسلامي، لما ترتب عليها من آثار سياسية وفكرية واجتماعية امتدت عبر القرون، ولا تزال محل دراسة وبحث بين المؤرخين والباحثين.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة سيرة الإمام الحسين رضي الله عنه دراسة تاريخية موضوعية، تبدأ ببيان نسبه ونشأته وفضائله، ثم تتناول الظروف السياسية التي سبقت خروجه، وأسباب موقفه من البيعة ليزيد بن معاوية، مع عرض أحداث رحلته إلى العراق، ووقائع كربلاء، واستشهاده رضي الله عنه، وما نتج عن ذلك من آثار في التاريخ الإسلامي.

وقد حرص هذا البحث على الاعتماد على المصادر التاريخية المعتبرة، مع مراعاة التثبت من الروايات، إذ إن أحداث الفتنة الكبرى دخلها كثير من الأخبار الضعيفة والمبالغات، ولذلك كان من الواجب الرجوع إلى المصادر الموثوقة، والموازنة بين الروايات، والابتعاد عن التعصب والغلو، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6].

كما يهدف البحث إلى إبراز الدروس والعبر المستفادة من حياة الإمام الحسين رضي الله عنه، ومن أهمها الثبات على المبادئ، والصبر على البلاء، والتضحية في سبيل الحق، مع التأكيد على وجوب محبة آل بيت النبي ﷺ جميعًا، والترضي عن الصحابة الكرام، واجتناب الخوض فيما وقع بينهم إلا بعلم وإنصاف.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به قارئه وكاتبه، وأن يجمع المسلمين على الحق والهدى، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

نسب الإمام الحسين رضي الله عنه ونشأته وفضائله

المبحث الأول: نسب الإمام الحسين رضي الله عنه

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنها. وبذلك اجتمع للحسين رضي الله عنه شرف النسب من جهة أبيه وأمه، فهو من أشرف بيوت العرب نسبًا، ومن أطهرها خلقًا، وقد نشأ في بيت النبوة، وتربى في مدرسة الوحي، ونهل من أخلاق جده رسول الله ﷺ، ومن علم أبيه علي رضي الله عنه، ومن طهر أمه فاطمة رضي الله عنها.

وقد كان النبي ﷺ يعتز بالحسن والحسين، ويظهر محبته لهما أمام الصحابة، حتى يعلم المسلمون مكانتهما وفضلهما. وكان يحملهما على كتفيه، ويضمهما إلى صدره، ويقبلهما، ويلاعبهما، ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، وفي رواية: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه».

كما قال ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وهو حديث صحيح يدل على عظيم منزلتهما عند الله تعالى.

المبحث الثاني: مولده ونشأته

ولد الإمام الحسين رضي الله عنه في المدينة المنورة في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة على المشهور. واستقبل النبي ﷺ مولده بالفرح والسرور، فأذن في أذنه، وسماه حسينًا، وعق عنه بكبش، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره فضة، اقتداءً بما شرعه الله تعالى للمولود.

نشأ الحسين رضي الله عنه في بيت النبوة، وكان يرى الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، ويسمع القرآن من فم النبي مباشرة، ويتلقى منه مكارم الأخلاق، وآداب الإسلام، حتى صار مثالًا في الطهر والزهد والعبادة والشجاعة.

ولم تقتصر تربيته على جده ﷺ، بل تربى كذلك في كنف أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أحد كبار الصحابة وأعلمهم، وفي رعاية أمه فاطمة رضي الله عنها، التي كانت مثالًا للعفاف والزهد والعبادة.

المبحث الثالث: مكانة الحسين عند رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ شديد المحبة للحسين رضي الله عنه، وقد وردت في فضله أحاديث كثيرة صحيحة، منها قوله ﷺ:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا».

وكان إذا رآه مقبلًا حمله وقبله، وربما أطال السجود في الصلاة حتى ينزل الحسين من فوق ظهره رحمةً به وشفقة عليه.

وروى الصحابة أن النبي ﷺ خرج يومًا وهو يحمل الحسن والحسين، فقال: «من أحبني فليحب هذين»، مما يدل على أن محبة الحسن والحسين من محبة رسول الله ﷺ.

وكان الصحابة يجلون الحسين ويوقرونه، ويعرفون له قدره ومكانته، فكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر كبار الصحابة يحبونه ويكرمونه، لأنه حفيد رسول الله ﷺ.

المبحث الرابع: صفاته وأخلاقه

اتصف الإمام الحسين رضي الله عنه بصفات جليلة، منها:

الشجاعة والإقدام.

الكرم والسخاء.

الزهد في الدنيا.

كثرة العبادة.

الحلم والعفو.

التواضع.

الصبر والثبات.

وقد شهد له المؤرخون بأنه كان من أعبد الناس في زمانه، كثير الصلاة، كثير الصيام، محبًا للخير، بارًا بالفقراء والمساكين، كريم النفس، حسن الخلق.

وكان إذا جاءه سائل أعطاه ما استطاع، وإذا أساء إليه أحد عفا عنه، اقتداءً بجده رسول الله ﷺ.

المبحث الخامس: حياة الحسين في عهد الخلفاء الراشدين

عاش الإمام الحسين رضي الله عنه في زمن الخلفاء الراشدين، فشهد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم خلافة أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان خلال هذه الفترات موضع احترام المسلمين جميعًا، ولم يعرف عنه طلب الإمارة أو السعي إلى السلطان، بل كان منشغلًا بالعلم والعبادة ونشر الخير.

وشارك مع أبيه علي رضي الله عنه في بعض الأحداث التي وقعت خلال خلافته، وكان يرى وجوب اجتماع كلمة المسلمين، ويحرص على حقن دمائهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

كما عُرف عنه حبه لإصلاح ذات البين، وعدم ميله إلى إثارة الفتن، وهو ما تؤيده كثير من مواقفه قبل خروجه إلى العراق.

خاتمة الفصل

يتبين من هذا الفصل أن الإمام الحسين رضي الله عنه نشأ في أطهر البيوت، وتربى على يد رسول الله ﷺ، واكتسب من أخلاقه وسمته ما جعله من أجلِّ رجال الأمة. وقد أجمع المسلمون على محبته وتعظيمه، فهو سبط النبي ﷺ وسيد من سادات أهل الجنة، وقد جمع بين شرف النسب، وسمو الأخلاق، وصدق الإيمان، مما هيأه ليكون أحد أبرز الشخصيات في التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني

الأحوال السياسية قبل خروج الإمام الحسين رضي الله عنه

تمهيد

شهدت الدولة الإسلامية بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أحداثًا جسامًا عُرفت في كتب التاريخ بـ"الفتنة الكبرى"، وقد تركت هذه الأحداث آثارًا عميقة في الحياة السياسية والاجتماعية للمسلمين. ورغم الجهود التي بذلها كبار الصحابة لإعادة وحدة الأمة، بقيت آثار تلك الفتنة ممتدة حتى نهاية خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم

إلى عهد ابنه الحسن رضي الله عنه، ومنها بدأت الظروف التي أفضت إلى خروج الإمام الحسين رضي الله عنه.

المبحث الأول: تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية ووحدة الأمة

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة (40 هـ)، بايع أهل العراق ابنه الحسن رضي الله عنه بالخلافة، بينما كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يحكم بلاد الشام.

ورأى الحسن رضي الله عنه أن استمرار القتال سيؤدي إلى سفك المزيد من دماء المسلمين، فاختار الصلح والتنازل عن الخلافة لمعاوية سنة (41 هـ)، وهو العام الذي عُرف في التاريخ الإسلامي بـ"عام الجماعة"، لاجتماع كلمة المسلمين بعد سنوات من القتال.

وقد أخبر النبي ﷺ بهذا الصلح قبل وقوعه حين قال:

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.»

وقد تحقق هذا الخبر، فكان الحسن سببًا في حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم.

المبحث الثاني: خلافة معاوية بن أبي سفيان

تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة بعد الصلح، واستمرت خلافته قرابة عشرين عامًا، وتميزت بالاستقرار النسبي واتساع الدولة الإسلامية، واستمرار الفتوحات شرقًا وغربًا.

وكان الإمام الحسين رضي الله عنه خلال هذه الفترة ملتزمًا بعهد الصلح الذي عقده أخوه الحسن، ولم يخرج على معاوية، بل عاش في المدينة المنورة مشتغلًا بالعلم والعبادة، مع احتفاظه بمكانته الرفيعة بين المسلمين.

وقد كان بين الحسين ومعاوية مراسلات ومواقف معروفة، إلا أن الحسين لم ير نقض البيعة أو الخروج عليه ما دام حيًا.

المبحث الثالث: استخلاف يزيد بن معاوية

في أواخر حياة معاوية رضي الله عنه، رأى أن يستخلف ابنه يزيد من بعده، وأخذ البيعة له من كثير من أهل الأمصار.

إلا أن عددًا من كبار الصحابة وأبنائهم لم يوافقوا على هذا الرأي، ومن أشهرهم:

الحسين بن علي رضي الله عنهما.

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

عبد الله بن عمر رضي الله عنه (امتنع أول الأمر ثم بايع لاحقًا).

عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه.

وكان اعتراض بعضهم راجعًا إلى طريقة اختيار الخليفة، إذ رأوا أن أمر الخلافة ينبغي أن يكون قائمًا على الشورى، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين.

المبحث الرابع: وفاة معاوية وموقف الحسين من البيعة

توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة (60 هـ)، فانتقلت الخلافة إلى يزيد بن معاوية.

وطلب والي المدينة من الإمام الحسين رضي الله عنه أن يبايع يزيد، إلا أن الحسين رأى أن البيعة في مثل هذا الأمر ينبغي أن تكون علنية وبعد مشاورة المسلمين، ولم يشأ أن يبايع على الصورة التي طُلبت منه.

ولما خشي وقوع صدام داخل المدينة المنورة، غادرها إلى مكة المكرمة، حفاظًا على حرمة مدينة رسول الله ﷺ، وابتعادًا عن أي مواجهة قد تؤدي إلى سفك الدماء.

المبحث الخامس: رسائل أهل الكوفة

بعد وصول الإمام الحسين إلى مكة، بدأت وفود ورسائل أهل الكوفة تتوافد عليه، يعلن أصحابها تأييدهم له، ويطلبون منه القدوم إليهم، ويؤكدون استعدادهم لنصرته ومبايعته.

وقد كثرت هذه الرسائل حتى بلغت عددًا كبيرًا، فأراد الحسين رضي الله عنه التحقق من صدق أصحابها، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنه إلى الكوفة ليتعرف على حقيقة الموقف.

وفي بداية الأمر استقبل أهل الكوفة مسلمًا بالترحيب، وبايعه عدد كبير منهم، فكتب إلى الحسين يخبره بما رآه، غير أن الأوضاع تغيرت بعد وصول عبيد الله بن زياد واليًا على الكوفة، إذ استخدم الشدة والتهديد، فتفرق كثير ممن كانوا قد بايعوا مسلمًا، حتى بقي وحده، ثم قُبض عليه وقُتل.

ولم تصل هذه التطورات إلى الإمام الحسين رضي الله عنه إلا بعد أن كان قد غادر مكة متجهًا نحو العراق.

خاتمة الفصل

يتضح من هذا الفصل أن خروج الإمام الحسين رضي الله عنه لم يكن وليد رغبة في طلب الملك أو الدنيا، وإنما جاء في سياق أحداث سياسية معقدة شهدتها الأمة الإسلامية بعد وفاة معاوية رضي الله عنه، مع اختلاف اجتهادات كبار الصحابة في طريقة اختيار الخليفة. كما أن رسائل أهل

الكوفة كان لها أثر كبير في قرار الحسين بالتوجه إلى العراق، قبل أن تنقلب الأحوال هناك بصورة مأساوية.

الفصل الثالث

الحسين ثائرًا: من مكة إلى كربلاء

تمهيد

تُعد رحلة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما من مكة إلى كربلاء من أكثر الأحداث تأثيرًا في التاريخ الإسلامي، فقد كانت رحلة مليئة بالمواقف الصعبة، والقرارات المصيرية، والابتلاءات العظيمة. وقد تناولها المؤرخون بتفاصيل كثيرة، واختلط فيها الصحيح بالضعيف، لذا كان من المهم عرضها وفق ما ثبت في المصادر التاريخية المعتبرة، مع مراعاة الإنصاف والبعد عن المبالغة.

المبحث الأول: خروج الإمام الحسين من مكة

أقام الإمام الحسين رضي الله عنه في مكة عدة أشهر بعد مغادرته المدينة، وكانت الوفود القادمة من الكوفة تتتابع عليه، تحمل رسائل تؤكد رغبة أهلها في قدومه ومبايعته.

وكان الحسين يدرك خطورة الموقف، ولذلك لم يتعجل، بل أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنه ليستوثق من حقيقة الأمر.

ولما وصله كتاب مسلم يخبره بإقبال الناس عليه، عزم على التوجه إلى العراق، رغم أن عددًا من كبار الصحابة والتابعين نصحوه بعدم الذهاب، لما يعرفونه من تقلب أهل الكوفة.

ومن أشهر من نصحه:

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

محمد بن الحنفية رحمه الله.

وكانوا يخشون عليه الغدر، ويذكرونه بما فعله أهل الكوفة مع أبيه علي وأخيه الحسن رضي الله عنهما.

لكن الإمام الحسين رضي الله عنه كان قد اعتمد على الأخبار التي وصلته من مسلم بن عقيل، ورأى أن من الوفاء الاستجابة لمن دعوه، خاصة بعد أن بايعه عدد كبير منهم.

المبحث الثاني: الطريق إلى العراق

خرج الإمام الحسين رضي الله عنه من مكة في أوائل شهر ذي الحجة سنة (60 هـ)، ومعه أهل بيته وعدد من أصحابه، وكان عددهم قليلًا مقارنة بجيوش الدولة الأموية.

وفي أثناء الطريق بدأت الأخبار السيئة تصله تباعًا.

فقد علم باستشهاد مسلم بن عقيل، ثم باستشهاد هانئ بن عروة رضي الله عنه، فعلم أن الأحوال في الكوفة قد تغيرت تمامًا.

فجمع أصحابه، وأخبرهم بما حدث، وقال لهم إن من أراد الرجوع فليرجع، لأن الذين خرجوا لنصرته قد خذلوه.

فرجع بعض من كانوا معه، أما أهل بيته وأصحابه المقربون فقد أصروا على مواصلة السير، وفاءً له، وإيمانًا بعدالة قضيته.

المبحث الثالث: لقاء الحر بن يزيد

في أثناء سيره اعترضه الحر بن يزيد الرياحي في قوة من الفرسان، وكان مأمورًا بمنع الحسين من دخول الكوفة أو الرجوع إلى المدينة، دون أن يبدأه بقتال.

ودار بينهما حوار هادئ، أظهر فيه الإمام الحسين أنه لم يأت لقتال أحد، وإنما جاء استجابة لدعوة أهل الكوفة، وقال لهم إنه إذا كانوا قد غيروا رأيهم فإنه مستعد للرجوع.

إلا أن الأوامر التي كانت مع الحر لم تسمح له بترك الحسين يعود إلى المدينة، فسار الركب حتى نزل في أرض كربلاء.

المبحث الرابع: النزول بكربلاء

وصل الإمام الحسين رضي الله عنه إلى كربلاء في اليوم الثاني من شهر المحرم سنة (61 هـ)، وهناك بدأت الجيوش تتوافد بقيادة عمر بن سعد، حتى صار الحسين ومن معه محاصرين.

وقد حاول الإمام الحسين أن يجد مخرجًا يحقن دماء المسلمين، فنُقلت عنه روايات بأنه عرض أحد أمور ثلاثة:

أن يرجع من حيث أتى.

أو يذهب إلى أحد الثغور.

أو يذهب إلى يزيد مباشرة للحوار معه.

وقد اختلف المؤرخون في ثبوت جميع تفاصيل هذه الروايات، إلا أنهم اتفقوا على أن الحسين لم يكن حريصًا على القتال، وإنما كان يسعى إلى تجنب سفك الدماء ما أمكن.

غير أن المفاوضات انتهت دون اتفاق، واشتد الحصار على الحسين وأهل بيته وأصحابه.

المبحث الخامس: يوم عاشوراء

في صباح العاشر من المحرم سنة (61 هـ)، بدأ القتال بعد أن استنفدت محاولات الصلح.

وقف الإمام الحسين رضي الله عنه يخاطب القوم، مذكرًا إياهم بمكانته من رسول الله ﷺ، وداعيًا إلى الكف عن قتاله، لكن القتال وقع.

وأظهر الحسين وأصحابه من الشجاعة والثبات ما شهد به حتى خصومهم، وكان عددهم قليلًا جدًا أمام جيش كبير.

واستشهد أصحاب الحسين واحدًا بعد الآخر، ثم استشهد عدد من أهل بيته، ومنهم أبناؤه وإخوته وأبناء إخوته، بعد أن ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات.

ثم بقي الإمام الحسين وحده يقاتل حتى أصيب بجراح كثيرة، واستشهد رضي الله عنه يوم عاشوراء، سنة (61 هـ)، عن عمر ناهز ستًا وخمسين سنة.

وكان استشهاده من أعظم المصائب التي نزلت بالأمة الإسلامية، وقد أجمع علماء المسلمين على إدانة قتله، وعدوه جريمة عظيمة، وترضوا عنه، وعدوه من سادات الشهداء.

المبحث السادس: موقف العلماء من استشهاد الحسين

اتفقت كلمة علماء أهل السنة على محبة الإمام الحسين رضي الله عنه، والترضي عنه، واعتبار قتله ظلمًا وعدوانًا، وأن الذين باشروا قتاله أو رضوا به قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا.

وفي الوقت نفسه أكد العلماء ضرورة تجنب الروايات المكذوبة والمبالغات التي أُضيفت إلى أحداث كربلاء عبر العصور، والاعتماد على الروايات الثابتة والمصادر الموثوقة.

كما دعوا إلى محبة جميع أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته، والابتعاد عن إثارة الأحقاد بين المسلمين بسبب أحداث تاريخية مضت.

خاتمة الفصل

تكشف أحداث هذا الفصل أن الإمام الحسين رضي الله عنه لم يخرج طالبًا للدنيا أو الملك، وإنما سار وفق اجتهاده، مستجيبًا لدعوات أهل الكوفة، ثم حاول تجنب القتال عندما تبدلت الظروف، إلا أن الأحداث انتهت بفاجعة كربلاء واستشهاده رضي الله عنه، وهي حادثة بقيت من أكثر الوقائع تأثيرًا في تاريخ المسلمين.

الفصل الرابع

الحسين شهيدًا: آثار استشهاده في التاريخ الإسلامي

تمهيد

لم يكن استشهاد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما حادثة عابرة في تاريخ الأمة الإسلامية، بل كان من أعظم الأحداث التي تركت آثارًا عميقة في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية. وقد اهتزت قلوب المسلمين لمقتله، لما للحسين من مكانة عظيمة؛ فهو سبط رسول الله ﷺ، وابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وسيد من سادات أهل الجنة.

وقد اختلفت مواقف الناس بعد استشهاده، إلا أنهم أجمعوا على أن مقتله كان مصيبة عظيمة، وأنه من أشد ما وقع في تاريخ المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الأول: وقع خبر استشهاد الحسين على المسلمين

ما إن انتشر خبر استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه حتى عمَّ الحزن أنحاء العالم الإسلامي.

ففي المدينة المنورة بكى كثير من الصحابة والتابعين، وتألموا لما أصاب آل بيت رسول الله ﷺ، وعدّوا ذلك من أعظم المصائب.

وقد نقل المؤرخون أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان شديد الحزن على مقتل الحسين، كما تأسف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وبكى كثير من أهل العلم والفضل.

وأصبح يوم عاشوراء مرتبطًا في ذاكرة المسلمين بهذه الفاجعة الأليمة، مع بقاء الأحكام الشرعية المتعلقة بصيامه كما جاءت في السنة النبوية.

المبحث الثاني: موقف علماء أهل السنة من مقتل الحسين

أجمع علماء أهل السنة والجماعة على عدة أمور، منها:

أن الإمام الحسين رضي الله عنه من أفضل الصحابة وأهل البيت.

أن محبته دين يتقرب به إلى الله.

أن قتله ظلم عظيم ومنكر كبير.

أن قاتليه آثمون ويتحملون مسؤولية هذه الجريمة.

أن ما وقع كان من الفتن التي يجب أن تُذكر بعلم وعدل، بعيدًا عن الكذب والغلو.

وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله إن الحسين قُتل مظلومًا شهيدًا، وأجمع المسلمون على فضله ومحبته.

كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الحسين شهيد بإجماع المسلمين، وأن قتله من أعظم الجرائم، مع التحذير من الروايات المكذوبة التي وُضعت حول الحادثة.

المبحث الثالث: الآثار السياسية لاستشهاد الحسين

كان لاستشهاد الإمام الحسين آثار سياسية كبيرة، من أهمها:

أولًا: ازدياد الاضطرابات داخل الدولة الإسلامية

فقد أدى مقتله إلى زيادة حالة الانقسام، وظهور حركات سياسية متعددة، طالبت بالقصاص من قتلته، أو استثمرت الحادثة لتحقيق أهدافها.

ثانيًا: قيام عدد من الثورات

شهدت السنوات التالية ثورات عدة، مثل:

ثورة أهل المدينة (وقعة الحرة).

حركة التوابين.

ثورة المختار الثقفي.

ثورة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

وكان لمقتل الحسين أثر واضح في إذكاء هذه الأحداث، وإن اختلفت دوافع كل حركة.

ثالثًا: ضعف هيبة الدولة

أثر مقتل سبط النبي ﷺ في صورة الدولة عند كثير من المسلمين، وأصبح من أبرز الأحداث التي استغلها معارضو الدولة الأموية في دعايتهم السياسية.

المبحث الرابع: الآثار الفكرية والدينية

كان لفاجعة كربلاء أثر كبير في الفكر الإسلامي، فقد أصبحت موضوعًا حاضرًا في كتب التاريخ والسير والوعظ والأدب.

كما ظهرت اتجاهات مختلفة في تفسير الحادثة، فتوسعت بعض الروايات حتى دخلها كثير من الأخبار الضعيفة والموضوعة، مما دفع العلماء إلى التأكيد على أهمية التثبت من الروايات، والرجوع إلى المصادر الموثوقة.

ومن جهة أخرى، بقيت محبة آل بيت النبي ﷺ أصلًا من أصول أهل السنة، دون غلو أو جفاء، امتثالًا لوصية النبي ﷺ في أهل بيته.

المبحث الخامس: الدروس والعبر من استشهاد الحسين

تُعد سيرة الإمام الحسين رضي الله عنه مدرسة في القيم الإسلامية، ومن أهم الدروس المستفادة:

أولًا: الثبات على المبادئ

فقد كان الحسين ثابتًا على ما رآه حقًا، ولم يتراجع عن اجتهاده رغم ما واجهه من صعوبات.

ثانيًا: الصبر على البلاء

واجه الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه أشد أنواع الابتلاء، ومع ذلك ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب.

ثالثًا: الشجاعة والإقدام

لم يكن الحسين ممن يهابون الموت إذا تعلق الأمر بما يعتقدونه حقًا، ولذلك بقي رمزًا للشجاعة عبر التاريخ.

رابعًا: أهمية وحدة المسلمين

تُظهر أحداث كربلاء خطورة الانقسام والاقتتال الداخلي، وأن الفتن إذا اشتعلت كان ضررها على الجميع.

خامسًا: التثبت في نقل الأخبار

لقد دخلت على قصة كربلاء روايات كثيرة لا تثبت، ولذلك يجب على الباحث أن يميز بين الصحيح والضعيف، وأن يبني أحكامه على المصادر الموثوقة.

خاتمة الفصل

إن استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه كان مصيبة عظيمة في تاريخ الإسلام، تركت آثارًا بعيدة المدى في السياسة والفكر والمجتمع. ومع ذلك، فإن الدرس الأكبر الذي تقدمه هذه الحادثة هو ضرورة التمسك بالعدل والإنصاف، ومحبة آل بيت رسول الله ﷺ، والابتعاد عن الغلو والتعصب، مع قراءة التاريخ قراءة علمية قائمة على التحقيق والإنصاف.

الفصل الخامس

استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه وآثار ثورته

تمهيد

تمثل واقعة كربلاء خاتمة المسيرة التي بدأها الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما عندما رفض مبايعة يزيد بن معاوية، ورأى أن الواجب الشرعي يقتضي إعلان موقفه مما اعتبره انحرافًا عن نهج الخلافة الراشدة. وقد انتهت هذه المسيرة باستشهاده في العاشر من المحرم سنة (61هـ)، إلا أن آثارها لم تتوقف عند حدود ذلك اليوم، بل امتدت إلى الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في العالم الإسلامي، وأصبحت من أبرز الوقائع التي شغلت المؤرخين وعلماء العقيدة والفقهاء والأدباء على مر العصور.

وقد تناول العلماء هذه الواقعة بمنهج يقوم على احترام آل بيت رسول الله ﷺ، والترضي عن الإمام الحسين، مع التحذير من الروايات الضعيفة والموضوعة التي تسربت إلى بعض كتب التاريخ، والدعوة إلى دراسة الحدث دراسة علمية تقوم على الروايات الصحيحة.

المبحث الأول: الليلة السابقة لمعركة كربلاء

بعد أن أحكم جيش عمر بن سعد حصاره على الحسين رضي الله عنه ومن معه، ومنع عنهم الماء، أدرك الجميع أن المواجهة أصبحت وشيكة.

وفي ليلة العاشر من المحرم جمع الإمام الحسين أصحابه وأهل بيته، وخطب فيهم خطبة عظيمة، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

"إني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي."

ثم أخبرهم أن القوم إنما يريدونه هو، وأذن لهم في الانصراف دون حرج، قائلاً إن الليل قد غشيهم، فليتخذوه ساترًا، ومن أراد النجاة فلينجُ بنفسه.

إلا أن أصحابه أجمعوا على البقاء معه، وأعلنوا أنهم لن يتركوه حتى يقتلوا دونه، فكان ذلك من أروع صور الوفاء في التاريخ الإسلامي.

وقضى الحسين وأصحابه تلك الليلة بين الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والاستغفار، استعدادًا للقاء الله تعالى.

المبحث الثاني: بداية المعركة

مع طلوع شمس يوم عاشوراء صلى الإمام الحسين بأصحابه صلاة الفجر، ثم نظم صفوفهم، فجعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى اللواء لأخيه العباس بن علي رضي الله عنه.

أما جيش الكوفة فكان يفوقهم عددًا بأضعاف كثيرة، وقد اختلف المؤرخون في تقدير عدده، إلا أنهم اتفقوا على أن الفارق كان هائلًا بين الطرفين.

وقبل أن تبدأ المعركة، تقدم الحسين يخاطب القوم، فذكرهم بالله، وبمكانته من رسول الله ﷺ، وقال لهم إنهم هم الذين كتبوا إليه يدعونه للمجيء، وسألهم بأي ذنب يستحلون دمه.

لكن أكثرهم لم يستجب، وغلبت عليهم أوامر قادتهم والخوف من السلطة.

المبحث الثالث: بطولة أصحاب الحسين

بدأ القتال بالمبارزات الفردية، ثم تحول إلى قتال شامل.

وكان أصحاب الحسين مثالًا في الثبات والإيمان، فلم يكن أحد منهم يرجع إذا تقدم، بل كان يقاتل حتى يُقتل.

ومن أشهر الشهداء:

حبيب بن مظاهر الأسدي.

مسلم بن عوسجة.

زهير بن القين.

نافع بن هلال.

جون مولى أبي ذر الغفاري.

وقد سجل المؤرخون مواقف عظيمة لهؤلاء الرجال، حيث كانوا يعلمون أنهم مقبلون على الشهادة، ومع ذلك لم يترددوا في التضحية بأنفسهم.

المبحث الرابع: استشهاد أهل بيت الإمام الحسين

بعد استشهاد أصحاب الحسين، تقدم رجال بني هاشم واحدًا بعد الآخر.

وكان أولهم علي الأكبر بن الحسين، الذي وصفه أبوه بأنه أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقًا وخُلُقًا ومنطقًا.

ثم خرج القاسم بن الحسن، وهو غلام صغير، فأبدى من الشجاعة ما أدهش الجميع حتى استشهد.

ثم خرج العباس بن علي رضي الله عنه، وكان حامل لواء الحسين، وأشهر فرسان بني هاشم.

وقد حاول العباس الوصول إلى نهر الفرات ليأتي بالماء للأطفال الذين اشتد بهم العطش، إلا أنه قُتل قبل أن يتمكن من العودة.

وكان لاستشهاد العباس أثر بالغ في نفس الإمام الحسين، إذ فقد أخاه وأقرب أعوانه.

ثم استشهد بقية رجال آل البيت الذين حضروا الواقعة.

المبحث الخامس: استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه

بعد أن بقي الإمام الحسين وحيدًا في ساحة القتال، ظل يقاتل وهو يعاني من الجراح والعطش والإرهاق.

ورغم ذلك، كان كثير من المقاتلين يهابون التقدم إليه؛ لمكانته العظيمة، فهو سبط رسول الله ﷺ، وابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ثم تكاثروا عليه من كل جانب، وأصابته السهام والرماح والسيوف حتى سقط عن فرسه.

واستشهد رضي الله عنه يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة.

وكان عمره نحو ست وخمسين سنة.

وقد عد علماء الإسلام مقتله من أعظم المصائب التي وقعت في تاريخ المسلمين.

وقال الإمام الذهبي:

"الحسين سيد شباب أهل الجنة، وقتله من أعظم الظلم."

وقال ابن كثير:

"قُتل مظلومًا شهيدًا رضي الله عنه وأرضاه."

واتفق أهل السنة والجماعة على محبة الحسين والترضي عنه، وأن قاتليه آثمون، وأن ما وقع كان من أعظم الفتن.

المبحث السادس: ما بعد المعركة

بعد انتهاء القتال أمر عمر بن سعد بدفن قتلى جيشه، أما الحسين وأصحابه فقد بقوا حتى قام أهل المنطقة بدفنهم.

وسُبيت نساء آل البيت، وكان في مقدمتهن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها، التي أظهرت صبرًا وثباتًا عظيمين.

كما كان الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) مريضًا فلم يشارك في القتال، فحفظ الله به نسل الحسين.

ثم نُقل أهل البيت إلى الكوفة، ومنها إلى دمشق، ثم عادوا بعد ذلك إلى المدينة المنورة.

وقد أحدثت هذه الأحداث صدمة كبيرة في العالم الإسلامي، وندم كثير ممن كانوا قد كتبوا إلى الحسين ثم خذلوه.

المبحث السابع: النتائج السياسية لثورة الحسين

أحدث استشهاد الإمام الحسين تغيرات سياسية واسعة، من أهمها:

أولًا: اهتزاز مكانة الدولة الأموية لدى كثير من المسلمين.

ثانيًا: ظهور حركة التوابين، الذين خرجوا نادمين على عدم نصرة الحسين، وقاتلوا طلبًا للتوبة.

ثالثًا: قيام ثورة المختار الثقفي، الذي أعلن السعي للقصاص من المشاركين في قتل الحسين.

رابعًا: ازدياد المعارضة السياسية ضد الحكم الأموي في العراق والحجاز.

خامسًا: أصبحت واقعة كربلاء نقطة مرجعية في النقاش السياسي حول مسؤولية الحاكم والعدل وحقوق الأمة.

المبحث الثامن: الآثار الفكرية والحضارية

كان لواقعة كربلاء أثر بالغ في الفكر الإسلامي والأدب والتاريخ.

فقد أفرد لها المؤرخون أبوابًا مستقلة، وتناولها الشعراء في قصائدهم، كما أصبحت موضوعًا للدراسات العقدية والتاريخية.

وأكد علماء أهل السنة أن حب آل البيت من الدين، وأنه لا يجوز سب أحد منهم أو الانتقاص من قدرهم، كما لا يجوز الغلو فيهم أو بناء العقائد على روايات غير ثابتة.

ومن هنا فإن المنهج الصحيح هو الجمع بين محبة آل البيت، والترضي عن الصحابة، والالتزام بالروايات الصحيحة، والابتعاد عن التعصب المذهبي.

المبحث التاسع: الدروس المستفادة من ثورة الإمام الحسين

تكشف ثورة الإمام الحسين عن جملة من القيم العظيمة، من أبرزها:

الثبات على الحق مهما كانت التضحيات.

رفض الظلم والاستبداد.

الشجاعة في الدفاع عن المبادئ.

الوفاء والإخلاص كما ظهر في أصحاب الحسين.

الصبر والاحتساب عند الشدائد.

أهمية العدل في الحكم.

خطورة الفتن والانقسامات داخل الأمة.

ضرورة التثبت من الروايات التاريخية وعدم قبول الأخبار دون تمحيص.

محبة آل بيت النبي ﷺ واحترامهم من صميم عقيدة المسلمين.

أن الإصلاح الحقيقي يحتاج إلى الصبر والتضحية والإخلاص.

خاتمة الفصل

انتهت واقعة كربلاء باستشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، لكنها بقيت حية في ذاكرة المسلمين باعتبارها واحدة من أعظم الفتن التي شهدها التاريخ الإسلامي. وقد أجمع أهل العلم على محبة الإمام الحسين، والإقرار بفضله ومكانته، وأن قتله كان ظلمًا عظيمًا. كما أكدوا أن دراسة هذه الحادثة ينبغي أن تقوم على الإنصاف والرجوع إلى المصادر الموثوقة، بعيدًا عن الغلو أو الجفاء، حتى تبقى وسيلةً للعظة والاعتبار، لا سببًا لإحياء الخلافات والفرقة بين المسلمين.

الخلاصة

نحنُ مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَبِخَاصَّةٍ أَتْبَاعَ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، قَلَّمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ آلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَقَلَّمَا ثُمَّ قَلَّمَا نَتَكَلَّمُ عَنْ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، رَيْحَانَتَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

السِّبْطَيْنِ، السَّيِّدَيْنِ، الْكَرِيمَيْنِ، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ وَالرَّحْمَةُ وَالسَّلَامُ وَالْبَرَكَةُ، وَقَلَّمَا ثُمَّ قَلَّمَا ثُمَّ قَلَّمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، الثَّائِرِ الْمُجَاهِدِ الْكَرِيمِ الشَّهِيدِ، الْبَطَلِ الشُّجَاعِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ، الْمِقْدَامِ الْفِدَائِيِّ الْمُؤْمِنِ الْمُحْتَسِبِ.

إِنَّهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أُمِّهِ وَعَنْ أَخِيهِ.

وَكَأَنَّنَا يُرَادُ لَنَا أَنْ نَظَلَّ بَعِيدِينَ عَنْ فِقْهِ الْحُسَيْنِ، وَعَنْ مَنْهَجِ الْحُسَيْنِ، وَعَنْ سِيرَةِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَأَنَّنَا نَتَعَلَّمُ وَنَدْرُسُ فَقَطْ مَا يُرَادُ لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ وَنَدْرُسَهُ.

أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا طَرِيقٌ وَعِرٌ، لِمَا يُحِيطُ مِنَ التُّهَمِ الْمُتَوَقَّعَةِ بِالتَّشَيُّعِ أَوْ التَّصَوُّفِ، أَوْ حَتَّى تُهْمَةِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحَاكِمِ، وَلَكِنَّ اللهَ الْمَوْعِدُ.

رَزَقَنَا اللهُ مَنْهَجَ الْحُسَيْنِ، وَإِيمَانَ الْحُسَيْنِ، وَشَجَاعَةَ الْحُسَيْنِ، وَشَهَامَةَ الْحُسَيْنِ، وَشَهَادَةَ الْحُسَيْنِ.

لم يقم أحدٌ من الصحابة -رضي الله عنهم- بتخطئة الحسين رضي الله عنه في حركته الثورية ضد الظلم والفساد والاستبداد، غاية ما هنالك أنهم نصحوه

بعدم الخروج خوفًا عليه من غدر الأتباع، فلما أصر على موقفه قالوا له نستودعك الله من شهيد.

المراجع

أولًا: المصادر الأصلية

الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة.

ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

الذهبي، شمس الدين. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الذهبي، شمس الدين. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي.

ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت.

خليفة بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق.

ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل.

ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية.

ثانيًا: كتب التراجم والسير

ابن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب، دار الفكر.

ابن كثير. الفصول في سيرة الرسول ﷺ.

ابن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد.

ثالثًا: كتب العقيدة والمنهج

ابن تيمية. منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية. مجموع الفتاوى.

ابن أبي العز الحنفي. شرح العقيدة الطحاوية.

رابعًا: الدراسات المعاصرة

إحسان إلهي ظهير. الشيعة وأهل البيت، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

علي محمد الصلابي. الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار ابن كثير.

راغب السرجاني. قصة الدولة الأموية، مؤسسة اقرأ.

أكرم ضياء العمري. عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان.

خامسًا: كتب الحديث

صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

سنن الترمذي.

مسند الإمام أحمد.

سادسًا: الموسوعات ودوائر المعارف

الموسوعة العربية العالمية.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

دائرة المعارف الإسلامية

تم بحمد الله تعالى